إضاءات نقدية (فصلية محكّمة)
السنة الرابعة – العدد السادس عشر – شتاء ١٣٩٣ش /كانون الأول ٢٠١٤م
صص ١٣٦ ـ ١١٧

دراسة أسلوبيّة إحصائيّة لنماذج من مقامات الهمذانى واليازجى فى ضوء معادلة بوزيمان

صغرى فلاحتى*
حامد صدقى**
إسماعيل أشرف***

الملخّص

اهتـمّ الباحثـون بالدراسـات الأسـلوبيّة الإحصائيّـة اهتماماً كبـيراً حيث يمكن باستخدامها معرفة الأساليب المختلفة وتمييزها عن أساليب أخرى فى نصّ ما. دراسة الأسـلوب على أساس معادلة بوزيمان هى دراسة كميّة وليست كيفيّة، درسنا فى هذا المقـال نماذجاً من مقامات الهمـذانى واليازجى على أسـاس معادلة بوزيمان. وهذه المعادلة تنطبق على أسلوب المقامات. أسلوب الكاتبين فى مقاماتهما على أساس هذه المعادلة أدبى والدرجة الإنفعاليّة تختلف من مقامة إلى مقامة أخرى. السبب الرئيسى الذى أدّى إلى إرتفاع نسبة الفعل إلى الصفة (تسمى اختصاراً ن ف ص) فى مقامات الهمذانى واليازجى هو الإكثار من الشـعر بدرجة كبيرة وإنّ المقامة من النثر الأدبى ووسـيلة للتمرن على الإنشاء والوقوف على مذاهب النثر والنظم. إنّها رصيد الثروة المعجميّة وتعبّر عن حالة المجتمع البشـرى وعن العواطف الّتى تعمل فى نفس الشعب وهـى تنطوى على ضرب من الصناعات اللفظيّة كالسـجع. إنّ مؤثر الصياغة تنطبق على مقامات الكاتبين. ومن المؤثرات التى ترجع إلى المضمون هى (العمر)، وهو يؤثّر علـى ارتفاع ن ف ص، عند الكاتبين. تهدف هذه المقالة إلى أن تحلّل الأسـلوب فى نماذج من مقامات الهمذانى واليازجى على أساس معادلة بوزيمان.

الكلمـات الدليلية: بديـع الزمان الهمذانى، ناصيف اليازجى، المقامات، الأسـلوب، معادلة بوزيمان.

*. أستاذة مساعدة بجامعة الخوارزمى، طهران، إيران.
**. أستاذ بجامعة الخوارزمى، طهران، إيران.
***. طالب مرحلة الدكتوراه بجامعة الخوارزمى، طهران، إيران. Esmailashraf42@yahoo.com
التنقيح و المراجعة اللغوية: د. هومن ناظميان
تاريخ الوصول: ١٣٩٢/١٠/٧ش تاريخ القبول: ١٣٩٣/٥/١٤ش

مقدمة

تأسّست الدراسات الأسلوبيّة الإحصائيّة على يد أرمسترونج ريتشارد، ومن العلماء الذين اعتمدوا هذا المذهب هو العالم الألمانى بوزيمان حيث طبّقها على نصوص من الأدب الألمانى. جاءت هذه المعادلة لتمييز الأسلوب الأدبى عن العلمى بواسطة تحديد النسبة بين مظهرين من مظاهر التعبير، أولهما التعبير بالحدث (الفعل) وثانيهما التعبير بالوصف لتعيين الأسلوب. ويتمّ حساب هذه النسبة بتقسيم عدد الأفعال على عدد الصفات ثمّ إيجاد خارج القسمة، فكلما زادت كان طابع اللغة أقرب إلى الأسلوب الأدبى وكلّما نقصت كان الطابع أقرب إلى الأسلوب العلمى. (مصلوح، ١٩٩٢م: ٧٤) يتناول هذا البحث دراسة الأسلوب لنماذج من مقامات الهمذانى واليازجى، وقد إخترنا موضوع المقامة بالذات لأنّه قيل إنّ أسلوب المقامة أدبيّة. ونحن نريد أن نحلل ذلک على أساس معادلة بوزيمان ونصل إلى أسلوب المقامات بالطريقة الإحصائيّة (كميّة). وسبب اختيار هذين الكاتبين أولاً، لأنّهما من أبرز الكتّاب فى مجال المقامة. وثانياً قيل إنّ اليازجى تتبع الهمذانى فى إيراد مقاماته، لذلک قمنا بدراسة أسلوب الكاتبين على أساس هذه المعادلة لكى نبيّن هل قلد اليازجى الهمذانى فى الأسلوب؟

خلفية البحث

لايوجد على حسب المعلومات المتوفرة مقالة خاصة بدراسة الأسلوب عند الكاتبين على أساس هذه المعادلة، ولكن المقالات المكتوبة حول الأسلوبيّة كثيرة منها مقالة: «عبدالعزيز الفارسى (تبكى الأرض يضحک زحل)» فى ضوء معادلة بوزيمان[١]، و«قياس خاصية تنوع المفردات فى الأسلوب (جبران خليل جبران، المنفلوطى، والريحانى)».[٢] وأيضاً «قياس خاصية تنوع المفردات فى الأسلوب (دراسة تطبيقيّة لنماذج من كتابات محمد مندور، سيد قطب، ومحمد غنيمى هلال) ».[٣]

١. الحجرى. حميد عامر. (٢٠١٢م). مجلة إحصائيات سريعة . عمان. العدد السبعون.
٢. مرتضوى. امير وحامد صدقى. (١٣٩١ش). مجلة دراسات فى اللغة العربيّة وآدابها، سمنان ـ تشرين. عدد ١٢.
٣. ناظميان. هومن. (٢٠٠٦م). مجلة اللغة العربيّة وآدابها. قم. السنة الأولى. العدد الثالث.

منهج البحث

اعتمدنـا فى كتابة هذه المقالة على المنهج الإحصائى والوصفى وذلک بالحديث عن الأسـلوب وأقسـامه العلميّة والأدبيّة وبيان معادلة بوزيمان. وقدمنا دراسـة إحصائيّة لنمـاذج من مقامات الهمـذانى واليازجى من خلال تطبيق معادلـة بوزيمان فى جداول مدونة ثمّ خرجنا بنتائج مهمة من خلال دراستنا.

أسئلة البحث

والمقصود من كتابة هذه المقالة الإجابة على الأسئلة التالية:

١. ما هو أسلوب اليازجى فى مقاماته على أساس معادلة بوزيمان ؟

٢. هل يتفق أسـلوب اليازجى فى مقاماته مع أسـلوب الهمذانى على أسـاس هذه المعادلة؟

٣. هل معادلة بوزيمان قادرة على أن تعطينا المنهج العلمى الصحيح لدراسة الأسلوب فى المقامات؟

نبذة عن حياة الهمذانى

ولد بديع الزمان فى همذان فى سنة ٣٤٨ هـ من أسرة عربيّة ذات علم وفضل ومكانة مرموقـة. وكانـت مدينة همذان من البلاد التى للعلم فيها نصيـب وللأدب فيها إزدهار. تتلمـذ بديع الزمـان لأحمد بن فارس ونهل من فيض علمه، كمـا تتلمذ لإبن لال وإبن تركان وعبد الرحمن الإمام وأبى بكر محمد بن الحسين الفراء، ولم يكتف البديع بالتوافر على علوم اللغة والأدب، بل أقبل على دراسة الحديث والرواية حتّى أصبح ثقة فى هذا الفن. (الشكعة، ١٩٨٣م: ١٥٦)

مقاماته

يـرى أكثـر الباحثين أنّ بديع الزمـان ألّف مقاماته مقلّـداً أو معارضاً إبن دريد فى أحاديثه الأربعين وقد قال بهذا صاحب زهر الآداب كما قال به بعض المحدثين. (المصدر نفسه: ١٥٦)

أمّـا زهر الآداب ففيـه أنّ بديع الزمان لما رأى أبا بكر محمد بن الحسـين بن دريد الأزدى أغرب بأربعين حديثاً وذكر أنّه إسـتنبطها من ينابيع صدره، وإنتخبها من معادن فكـره، وأبداها للأبصـار والبصائر، وأهداهـا للأفكار والضمائـر فى معارض عجميّة وألفاظ حوشيّة، عارضه بأربعمائة مقامة فى الكديّة تذوب ظُرفاً وتقطر حسناً. (المبارک، ١٩٨١م: ١٧)

أمّا عدد المقامات فقد ذكر مؤلفها فى إحدى رسائله أنّها أربعمائة مقامة وذلک حين كتب إلى أبى بكر الخوارزمى فى إحدى رسائله «فيعلم أنّ من أملى من مقاماته الكدية أربعمائة لا مناسـبة بين المقالتين لا لفظاً ولا معنىً وهو لا يقدر منها على عشـر، حقيق بكشف عيوبه والسلام». (المصدر نفسه: ١٩)

وبمثل هذا العدد صرّح الثعالبى فى اليتيمة والحصرى فى زهر الآداب. ولكن الباحثين اليـوم ينكرون هذا العدد الضخم ويرونـه محرّفاً عن الأربعين ويعزو الدكتور ضيف هذا التحريف إلى غلط الناسـخ ويقول: «مجرد معارضة بديع الزمان لإبن دريد فى أحاديثه يقتضـى أن تكون أحاديثه أو مقاماته أربعين أيضاً. ويظهر أنّه صنع فى نيسـابور أربعين مقامة فقط، ثمّ رأى أنّ يزيد عليها مقامات أخرى بعد مبارحته لها، فزاد سـتاً فى مديح خلـف بن أحمد فى أثناء نزوله عنده، كما زاد خمسـاً أخرى ، وبذلک أصبحت المقامات نيفاً وخمسـين. وإلى مثـل ذلک أيضاً ذهب الدكتور عزّة حسـن فى كتابه عن المقامات وليس لدينا ما يمنع من الأخذ بهذا الرأى مادامت المقامات الّتى وصلت إلينا لم تتجاوز هذا العدد الذى قدروه ومادام أحد من القدماء لم يأتِ بشىء زائد منها. (المصدر نفسه: ٢٠)

نبذة عن حياة ناصيف اليازجى

وُلد اليازجى فى قرية كفرشـيما فى ضواحى بيروت سـنة ١٨٠٠م من أسرة عريقة، وتعلّم مبادئ القراءة والكتابة عند راهب يُدعى "متى" وكان والده من مشاهير الأطباء فى زمانه، مولعاً بالأدب وميّالاً للشعر. نشأ ناصيف على حب العلم والأدب وأخذ يطالع كلّ مـا تصل إليه يده من كتب اللغة والنحو والأدب والشـعر، لقّب بالشـيخ لوجاهته

وعلمه فتأدب ذاتيّاً وكان أستاذه الكتاب ومدرسته المكتبة، نظم الشعر وهو فى السادسة عشــرة من عمره وعنى بالخط وبرع فيه ودعاه البطريک اغناطيوس الروم الكاثوليک إلى دير الواقع قرب كفرشــيما ليكتب له فأجابه اليازجى وبقى عنده سنتين. (أنصارى، ١٣٨٦ش: ٧٧)

إنّ الشــاعر النصرانى كان عميدَ بيت اليازجى وركن من أركان النهضة العلميّة فى سوريا وهو أشهر من أن نعرف به لما كان له من القدح المعلى فى اللغة والشعر والأدب، وإنّه أوّل من راجت كتبه اللغويّة فى المدارس العربيّة من النصارى. (زيدان، لاتا: ٥٩٨)

مقاماته

تَرسَّم الشيخ ناصيف خطوات الحريرى والهمذانى فى المقامات وانتهج نهجهما، فأولع بالبديــع وافتن فى الصناعة وكلف بالغريب وأنشــأ من مقاماته ســتين مقامة أجاد فيها التقليد وأتقن الإحتذاء وبلغ من الحلية اللفظيّة الغاية. (عبّود، ١٨٩٢م: ٧٢)

يُعــدُّ ناصيف واحداً مــن ثلاثة من الّذين نبغوا فى المقامة وكتابه هذا ينتمى إلى هذا الفن وقد ضمّنه ســتين مقامة، وكانت له فى أوانــه أهميّة كبيرة فى حقل الكتابة فى مطلع عصر النهضة وعند ظهوره عُدَّ فاتحة عهد جديد فى الكتابة العربيّة وينال إعجاب الكثير ويحذى حذوه من أراد يكتب فى هذا الفن وبخاصّة فى عصره. فى مقاماته شيخ هو ميمون بن خزام وراويه هو ســهل بن عبّــاد وتدور مقاماته حول جملة مــن الألعاب البديعيّة والصناعات الشــعريّة والقوائد اللغويّة كما فيه شــيئ من المعلومــات الطبيّة والفَلكيّة ومعــرض لبعض الأمثال العربيّة، يعود فيه ناصيف إلــى الأجواء العربيّة القديمة بما فيها مــن بداوة وعادات عربيّــة قديمة وفيه ضروب من الحيل والمكر والخداع وهو ما يعطى صورة عن المجتمع وعن بعض الفئات به. (المعوش، ١٩٩٩م: ١٣٦)

الأسلوب لغةً واصطلاحاً

والأســلوب كما ورد فى لســان العرب هو السرط من النخيل، وكل طريق ممتد، فهو الطريق أو الوجه أو المذهب، والأســلوب بالضم: الفن، يقال: أخذ فلان فى أساليب من القول، أى: أفانين منه. (ابن منظور، ١٩٨٩م: مادة سلب)

و فى الاصطلاح: هو «طريقة الكاتب فى إيصال فكرته إلى القارئ.» (عبابنة، ٢٠٠٧م: ٢٣) وأيضاً هو «طريقة التعبير الخاصة بأديب من الأدباء.» (مرتضى، ١٣٩١م: ١١٣)

الأسلوب

إنّ لغة الشاعر أو الأديب ليست مجرد علامات لغويّة تطلق على مسمياتها ولكنها فى جوهرها تعبير عن جوانب عقليّة وإنفعاليّة يبدو فيها الخلق والإبداع. واللغة المستخدمة على هذا النحو تمثّل أسلوباً بعينه. فالأسلوب هو ما يبدو فى العمل اللغوى من تصوير مؤثّر للجوانب الإنسانيّة فى اتساعها وعمقها عن طريق إستخدام جميع طاقات اللغة. وإذا كان علماء اللغة يهتمّون بجميع أنماط التنوّع اللغوى كالتنوع التاريخى والإقليمى والإجتماعى، فإنّ الأسلوب يُعد أحد أنماط هذا التنوّع. إنّ تحليل الأسلوب ليس إلا طريقة من طرق النظر فى اللغة. ويعنى التحليل فى جوهره بتحديد السمات الأسلوبيّة للنص أو النصوص المدروسة. وتتميّز هذه السمات بمعدلات تكرار عاليّة نسبياً. ولها أهميّة خاصة فى تشخيص الإستخدام اللغوىّ عند المبدع. (العبد، ١٩٨٦م: ١٣)

الأسلوب هو المظهر الذى فى الخطاب وينجم عن إختيار وسائل التعبير. (صدقى، ١٣٨٧ش: ٣) وهو يتألف من الكلمات فالجمل والعبارات، فهو معان مرتبة قبل أن تكون ألفاظاً منسقة، وهو حق مشترك بين البيئات المختلفة، وبين العلماء فى مناهج البحث العلمى، والأدباء واللغويين فى الفن الأدبى وغيرهم. (الشايب، ١٩٧٦م: ٤٠)

إذا أردنا أن نحدد تعريفاً واحداً شاملاً للأسلوب، فإننا لا نستطيع، بل إننا نستطيع التوليف بين مجموعة من التعريفات للأسلوب، للوصول إلى تعريف موحد مقبول من قبل الجميع، وكل ذلک يعود إلى شمولية مفهوم الأسلوب وإلى طبيعة إستخدامنا لمصطلحه، مما يضفى عليه ضبابية تجعل من الصعب الحديث عنه كشئ واحد، فنحن نقول أسلوب إخبارى، وأسلوب إنشائى، وأسلوب تعجب، وأسلوب نداء، وأسلوب تصويرى، فهو كلمة مطاطية وعلى ذلک، فكلمة أسلوب صارت حقاً مشاعاً هذه الأيام تترد على ألسنة كثيرة فى بيئات متعددة بدلالات متنوعة، كما أنها تستخدم فى بعض الحالات، للدلالة على منهج البحث، وقد ترادف كلمة منهج. فيقال أسلوب البحث العلمى وعلى

الرغم من ذلک يظل الأسـلوب يحفل بحفاوة كبيرة فى مجال الدراسات اللغويّة والأدبيّة وغيرها. (العرجا، ٢٠٠٦م: ٣)

التمييز بين الأسلوبين العلمى والأدبى

يقـول أحمد الشـايب فى كتابه "الأسـلوب" حول التمييز بين نوعين من الأسـاليب بالموازنة بين نصين مختلفين نسـتطيع أن نفرق بين الأسـلوبين العلمى والأدبى فيما يلى: دخـول الإنفعال أو العاطفة فى الأسـلوب الأدبى بجانب أهـم الحقائق والأفكار، وأما العلمى فإنّ المعارف العقلية هى الأسـاس الأول فى بنائه إذ إنّ الأسـلوب العلمى لغة العقـل، والأدبى لغة العاطفة، ويكون الغرض من الأسـلوب العلمى أداء الحقائق قصد التعليم، ولكن الغاية فى الأسلوب الأدبى هى إثارة الإنفعال فى نفوس القراء السامعين. (الشايب، ١٩٧٦م: ٥٩)

يمتاز الأسـلوب العلمى بالدقة والتحديد والإستقصاء، ولكن الأسلوب الأدبى يمتاز بالتفخيم والتعميم والوقوف عند مواطن الجمال والتأثير. يمتاز الأسلوب العلمى بالسهولة و الوضوح، إذا كان صادراً عن عقل رزين فاهم، كما يمتاز الأسـلوب الأدبى بالجزالة والقوة مادام يعبر عن عاطفة قوية حيّة. فكانت لكل من الأسـلوبين موسـيقى صادقة لمعناها. لا يوجد فى الأسـلوب العلمى تكرار الفكرة وترديدها، ولكن الأسلوب الأدبى يأخذ المعنى الواحد ويعرضه علينا فى عدة صور بيانية مختلفة. (المصدر نفسه: ٦٠)

معادلة بوزيمان

إنّ مسـألة التمييز بين الأسـاليب المختلفة هى ما يشغل بال الباحثين فى مجال النقد والأسلوب الأدبى، والنحوى، وخاصة الأسلوب العلمى، أو التمييز فى الأسلوب الأدبى بين ما هو عاطفى إنفعالى، وما هو ذهنى عقلانى، أو بين أسـلوب ذكورى، أو أسـلوب نسائى. وقد حفلت كتب النقد العربية بإستقصاء ما ورد فى هذه المسألة من أقوال تجعل منها تحديّاً أمام الدارسـين لأسلوب العربيّة. وقد إختلف بحث هذه المسألة من ناقد إلى آخـر، فبعض الباحثين عالج لغة الأدب من خـلال المنظور اللغوى، وآخرون من خلال

المنظور الأدبى وذلک بإستخدام معايير موضوعيّة مختلفة. (العرجا، ٢٠٠٨م: ٩) ولكننا فى هذا البحث سنحاول أن ندرس لغة الأدب من خلال المنظور اللغوى باستخدام معيار واحد وهو القياس الكمى الإحصائى.

تعرف المعادلة التى تستخدم لقياس هذه الخصائص، وتشخيص الأدب تشخيصاً كميّاً بإسم معادلة بوزيمان نسبة إلى العالم الألمانى أ. بوزيمان، أول من إقترحها وطبقها على نصوص من الأدب الألمانى. وقد تقوم هذه المعادلة على دراسة ذات طرفين، أولهما: التعبير بالحدث، والثانى: هو التعبير بالوصف، أو الجمل التى تعبر عن حدث وبالتالى الكلمات التى تعبّر عن صفة مميزة لشىء ما. ويتم حساب هذه النسبة بإحصاء عدد الكلمات التى تنتمى إلى النوع الأول، وعدد كلمات النوع الثانى، ثمّ إيجاد خارج قسمة المجموعة الأولى على المجموعة الثانيّة، ويعطينا خارج القسمة قيمة عددية تزيد وتنقص تبعاً للزيادة والنقص فى عدد كلمات المجموعة الأولى على المجموعة الثانية. وتستخدم هذه القيمة بإعتبارها دالاً على أدبيّة الأسلوب، فكلما زادت كان طابع اللغة أقرب إلى الأسلوب الأدبى، وكلما نقصت كان أقرب إلى الأسلوب العلمى.

وبذلک إتخذت المعادلة الشكل الآتى: نسبة الفعل إلى الصفة = عدد الأفعال / عدد الصفات

وتسمى اختصاراً (ن= نسبة، ف= الفعل، ص: الصفة) أى (ن ف ص).

لقد اشتمل الإحصاء الذى أجريناه فى الجانب التطبيقى من هذه المعادلة بالنسبة للأفعال على جميع الأفعال التى تتضمن التعبير عن الحدث. وبيان ذلک أنّ للفعل جانبين: جانب الحدث، وجانب الزمن. فأما الأفعال التى تخصصت دلالتها فى الزمن كالأفعال الناقصة أو التى جمدت دلالتها على الحدث، فينبغى أن تكون خارج الإحصاء ـ وذلک حتى لا تبقى لدينا إلا ما صحّت دلالته على الزمن والحدث من الأفعال ـ وعلى ذلک فإننا نستثنى من الإحصاء، الأنواع الآتية من الأفعال:

١. الأفعال الناقصة: (كان وأخواتها إلا إذا استعملت تامة)

٢. الأفعال الجامدة: مثل نعم وبئس.

٣. أفعال الشروع: مثل كاد وأخواتها.

ويدخل فى الإحصاء جميع ما سوى ذلك.

أما بالنسبة لعدد الصفات، فقد أخرجنا منها الجملة التى تقع فى النحو التقليدى، صفة سواء كانت جملة فعليّة أو اسمية شبه جملة متعلق بمحذوف. وذلك لأسباب منها أولاً: أنّ إعـراب هذه الجملة صفة هو تصور نحوى (أى مقولة منهجيّة) وليس حقيقة من حقائق اللغة، وثانيها: لأنّ الجملة تتركب من عناصر قابلة هى فى ذاتها للتصنيف مما يعقد عملية الإحصـاء، وفيما عدا ذلك، فقد شمـل الإحصاء جميع الأنواع الأخرى من الصفات بما فى ذلك، الجامد المؤول بالمشـتق كالمصدر الواقع صفة، والاسـم الموصول بعد المعرفة، والمنسوب، واسم الإشارة بعد معرفة.

مـن المؤثرات التى تؤدى إلى ارتفاع ن ف ص أو انخفاضها فى معادلة بوزيمان، هى مؤثر الصياغة ومؤثر المضمون.

مؤثر الصياغة

١.الكلام المنطوق يمتاز بارتفاع ن ف ص فى مقابل انخفاضها فى الكلام المكتوب.

٢. نصـوص اللهجـات تمتاز بارتفـاع ن ف ص فى مقابل انخفاضهـا فى النصوص الفصحى.

٣.النصوص الشعرية تمتاز بارتفاع ن ف ص فى مقابل انخفاضها فى النثر.

٤. تمتاز الأعمال الأدبيّة بارتفاع ن ف ص فى مقابل انخفاضها فى الأعمال العلميّة.

٥. إنّ قيمة ن ف ص فى الحوار أكثر منها فى الفقرات السردية والوصفية.

مؤثر المضمون

العمـر: إذ يرتبط منحـنى ن ف ص بمراحل العمر فيميل إلى تسـجيل قيم عالية فى الطفولة والشباب، ثمّ يتجه إلى الإنخفاض فى الكهولة.

الجنـس: تميل قيمـة ن ف ص إلى الإرتفاع عند النسـاء فى مقابل ميل واضح إلى انخفاضها عند الرجال.

ينبغـى أن يكون واضحـاً أنّ الاتفاع والانخفاض فى قيمة ن ف ص إنما هو نسـبى

وليس مطلقاً. وكون المقياس نسبياً يقتضى أن تكون دلالته محددة بالنصوص التى تتمّ مقارنتها ويكتسب دلالته فى حدود هذه المقارنات.

(سعد مصلوح، الأسلوب (دراسة لغوية إحصائيّة)، ١٩٩٢م، صص ٧٣ ـ ٨٣) .G.A. Miller, Language and Communication, ١٩٦٣, p ١٢٧.))

the Verb-Adjective Ratio: 1969, p. 57.) . Friederike Antosch, The Diagnosis Of Literary Style With)

جئنا على سبيل المثال بنص من كتاب "مستقبل الثقافة" لطه حسين وكتبنا فيه كلّ فعل بخط تحته ووضعنا الصفة بين قوسين ليتبين لنا كيف يتمّ الإحصاء للصيغ المطلوبة.

«الموضوع (الذى) أريد أن أدبر فيه هذا الحديث هو مستقبل الثقافة فى مصر (التى) ردّت إليها الحريّة بإحياء الدستور وأعيدت إليها الكرامة بتحقيق الإستقلال. فنحن نعيش فى عصر من أخص ما يوصف به أنّ الحريّة والإستقلال فيه ليسا غايةً تقصد إليها الشعوب وتسعى إليها الأمم، وإنّما هما وسيلة إلى أغراض (أرقى) منهما، و (أبقى) و(أشمل) فائدة و(أعم) نفعاً». (سعد مصلوح، الأسلوب (دراسة لغوية إحصائيّة)، ١٩٩٢م: ٧٩)

نموذج من مقامات بديع الزمان الهمذانى

اخترنا خمس عشرة مقامة من مقامات الهمذانى متنوعة الموضوعات وكانت النتيجة كالتالى:

جدول رقم (١) ن ف ص فى مقامات الهمذانى

المقامة	عدد الأفعال	عدد الصفات	ن ف ص
المقامة السجستانيّة	٨٦	١٠	٨,٦
المقامة المَوصليّة	١٦١	٦	٢٦,٨٣
المقامة الإبليسيّة	١١٧	١٤	٨,٣٥
المقامة الجاحظيّة	٨٥	١٠	٨,٥
المقامة المَكفوفيّة	٦١	١٥	٤٠٦

المقامة الشيرازيّة	٦٩	٦	١١,٥
المقامة الإصبهانيّة	٩٥	٧	١٣,٥٧
المقامة الساسانيّة	٦٩	١١	٦,٢٧
المقامة الفزازية	٧٨	٦	١٣
المقامة الملوكيّة	٦٤	٦	١٠,٦٦
المقامة الكوفيّة	٥٩	٩	٦,٥٥
المقامة الأذربيجانيّة	٤٦	٣	١٥,٣٣
المقامة الأهوازيّة	٧١	٦	١١,٨٣
المقامة البغداديّة	١٠٢	٤	٢٥,٥
المقامة البخاريّة	٧٦	٥	١٥,٢

نموذج من مقامات ناصيف اليازجى

اخترنا خمس عشرة مقامة من مقامات اليازجى متنوعة الموضوعات وكانت النتيجة كالتالى:

جدول رقم (٢) ن ف ص فى مقامات اليازجى

المقامة	عدد الأفعال	عدد الصفات	ن ف ص
المقامة البدويّة	١٣٠	١٠	١٣
المقامة الحجازيّة	١٣٤	١٢	١١,٦٦
المقامة الصعيديّة	١٣٠	١٦	٨,١٢
المقامة الحلبيّة	١٥٥	١٤	١١,٧
المقامة الشاميّة	١٥٠	١٠	١٥
المقامة اليمينية	١٦٣	٨	٢٠,٣٧
المقامة الكوفيّة	١٠٨	١٨	٦
المقامة الأزهريّة	١٦١	١٨	٨,٩٤
المقامة الصوريّة	١٥٠	١٨	٨,٣٣
المقامة النجديّة	١٢٠	٢٢	٥,٤٥
المقامة الإسكندريّة	١١٤	١٨	٦,٣٢

المقامة السواديّة	١١٣	٨	١٤,١٢
المقامة الغزيّة	١٣٦	٢٠	٦٠٧
المقامة اللاذقيّة	١١٤	٢٤	٤,٧٥
المقامة البصريّة	١٧٠	٢٣	٧,٣٩

رسم بيانى رقم (١) ن ف ص فى مقامات الهمذانى

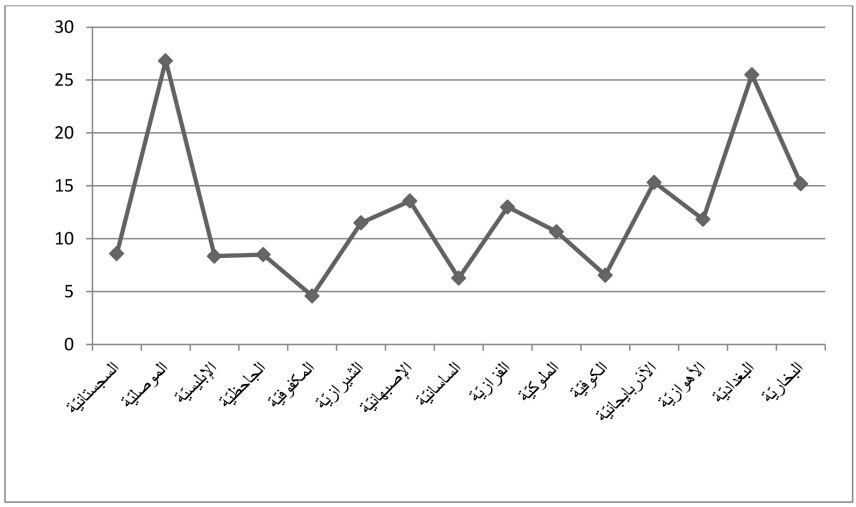

رسم بيانى رقم (٢) ن ف ص فى مقامات اليازجى

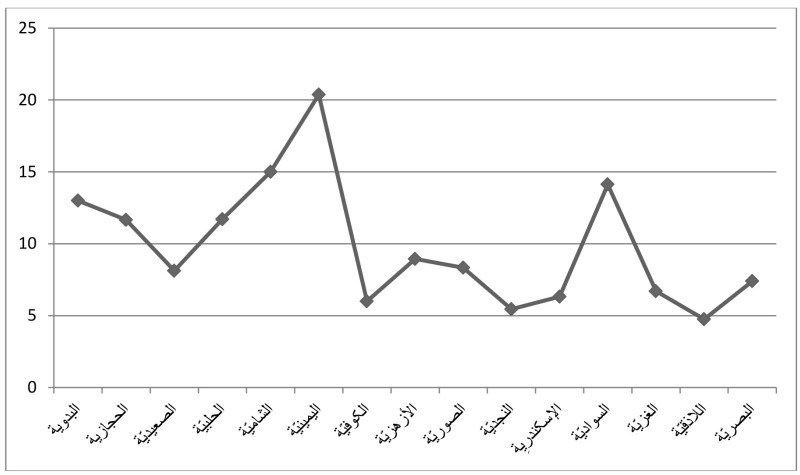

معدل ن ف ص فى مقامات الهمذانى واليازجى			
الهمذانى		اليازجى	
عدد الأفعال	١٢٣٩	عدد الأفعال	٢٠٤٨
عدد الصفات	١١٨	عدد الصفات	٢٢١
معدل النسبة	١٠/٥	معدل النسبة	٩/٢٦

جدول رقم (٣)

نستنتج من هذه الموازنة أنّ مقامات الهمذانى أكثر أدبيّاً بالنسبة لمقامات اليازجى ونحلّل السبب فى ما يلى:

لما رأى الهمذانى أنّ ابن دريد أغرب بأربعين حديثاً واستنبطها من ينابيع صدره وأنتجها من معادن فكره وأبداها للأبصار والبصائر فى معارض عجمية وألفاظ حوشية، عارضه بأربعمائة مقامة فى الكدية تذوب ظرفاً وتقطرحسناً. هذا الكلام يدلّ على

أنّ المصدر الأوّل الذى أسهم بديع الزمان مقاماته هو رغبته فى أن يتفوّق على ابن دريد العالم اللغوى وذلك بأنّ يبتكر أحاديث لغويّة لطلابه فألّف مقاماته هذه. والهمذانى لتوضيف هذا الغرض يعتمد على الأفعال كثيراً من حيث الدلالة فى إبداع المعنى ومن حيث البنيّة اللغويةِ. اليازجى وإن إهتمّ بهذا الغرض فى مقاماته ولكنه لم يجعله كالهمذانى الأمصدر الأول لبيان مقاماته. لذلک نرى الأفعال المستعملة فى مقامات الهمذانى أكثر بالنسبة لليازجى وهذا يدلّ على أنّ مقامات الهمذانى أكثر أدبيّاً بالنسبة للمقامات اليازجى.

٢. إنّ الانتفاع بمقامات الهمذانى عسراً بسبب غرابة بعض كلماته وخفاء كثير من إشاراته وغموض فى تأليف بعض عباراته والهمذانى يأتى بالعبارات المترادفة لتفسير غريبه وتبيين خفيّه وتوضيح غامضه وهو يستعمل الأفعال كثيراً فى الجملات المترادفة. لكن اليازجى هو شاعر العاطفة بسبب أنّ الرثاء فى المكانة العاليّة عنده، نرى بعض مقاماته مملوءة بالحكمة ولأنّ هدفه تنبيه الناس ومخاطبه عامة الناس، يذكر عباراته النثرية والشعريّة بالسهولة والبساطة بعيدة عن الغموض والتعقيد ليدركوها جميع الناس ولا يكلّف نفسه عند بيانه. لذلک نرى إنّه لا يحتاج إلى استخدام العبارات المترادفة

لتفسير غريبه وتبيين غموضه. ونرى اليازجى قليلاً يستفيد من الجملات المترادفة. لذلک نرى عدد الأفعال أكثر عند الهمذانى بالنسبة لليازجى. ومقاماته أكثر أدبيّاً بالنسبة للمقامات اليازجى.

معدل ن ف ص فى مقامات الهمذانى			
الأكثر		الأقل	
المقامة	الموصليّة	المقامة	المكفوفيّة
عدد الأفعال	١٦١	عدد الأفعال	٦١
عدد الصفات	٦	عدد الصفات	١٥
معدل النسبة	٢٦/٨٣	معدل النسبة	٤/٦

جدول رقم (٤)

الدرجة الإنفعاليّة فى مقامات الهمذانى متغيرة. إن ارتفاع ن ف ص فى مقامات الهمذانى أكثرها، فى المقامة الموصليّة وأقلّها فى المقامة المكفوفيّة.

معدل ن ف ص فى مقامات اليازجى			
الأكثر		الأقل	
المقامة	اليمنيّة	المقامة	النجديّة
عدد الأفعال	١٦٣	عدد الأفعال	١٢٠
عدد الصفات	٨	عدد الصفات	٢٣
معدل النسبة	٢٠/٣٧	معدل النسبة	٥/٤٥

جدول رقم (٥)

الدرجة الانفعاليّة فى مقامات اليازجى، أكثرها فى المقامة اليمنيّة وأقلها فى المقامة النجديّة.

إنّ معدل النسبة فى مقامات الهمذانى واليازجى تختلف بإختلاف إستعمال الصناعات اللفظيّة كالسجع والجناس والطباق والإغراق فى المقابلة والموازنة. وأيضاً باستعمال

الشعر وعدد الأفعال والصفات وإستعمال المفردات والجمل.

من خلال دراسة هذه النتائج نشاهد أنّ الأسلوب عند الكاتبين هو أسلوب أدبى، والدرجة الانفعاليّة فى هذه المقامات متغيّرة. إن إرتفاع ن ف ص فى مقامات الهمذانى أكثرها، فى المقامة الموصليّة وأقلّها فى المقامة المكفوفيّة. والدرجة الانفعاليّة فى المقامة اليمنيّة لليازجى كثيرة وأقلّها فى المقامة النجديّة. أمّا القيم الخاصة بمقامات الهمذانى واليازجى فإننا نناقشها فيما يلى:

يتراءى لنا السبب الرئيسى الذى يقف وراء ارتفاع قيمة ن ف ص فى مقامات الهمذانى واليازجى (وهذا يدل على أدبيّة أسلوب المقامات) هو:

الف) مؤثرات ترجع إلى الصياغة (form)

ازدواجية الشعر والنثر

أوّل ما نلاحظ فى مقامة الهمذانى واليازجى الإكثار من الشعر بدرجة كبيرة. وليس هناك مقامة تخلو من أبيات تقل عن خمسة فى المتوسط وتزداد فى البعض الآخر حتى العشرين. وإيراد هذه الأشعار فى المقامات إمّا أن تكون لبيان قدرات المؤلّف فى النظم أو لإظهار مهارته فى البديع. (الشكعة، ١٩٨٣م: ٢٥٩) والنصوص الشعريّة كما جاء فى معادلة بوزيمان تمتاز بارتفاع ن ف ص فى مقابل انخفاضها فى النثر.

الإطار القصصى

تعد مقامات الهمذانى واليازجى من أشهر مؤلفات الكاتبين وهى تصطبغ بالطابع القصصى، وبها الكثير من الخيال، فتدخل ضمن نوادر التراث القصصى وتغلب عليها روح الفكاهة. هذه من ميزات الأسلوب الأدبى. (مرامى، ٢٠٠٦م: ٩١)

الغموض

إنّ نثر مقامات الهمذانى واليازجى فيه شيئ كثير من العبارات الغامضة الخافية المعنى، والإشارات والتلميحات المحتاجة إلى شرح وإيضاح، لذلك يقوم الكاتبان بتوضيح الألفاظ عند إستعمالهما الأفعال المترادفة لبيان معنى الكلمات المبهمة وشرح

التلميحـــات، ونراهما يســـتعملان فى النثر، الأفعال كثيراً. وأيضـــاً أنّ المقامة هى رصيد ثـــروة معجميّة هائلـــة، وكاتبها يعتمد علـــى الأفعال كثيراً من حيـــث الدلالة فى إبداع المعنى وأيضاً يحاول الكاتب من حيث البنيّة، الإعتماد على أحد أقسام الفعل لأغراض أسلوبيّة معيّنة أو إبتكار صيغ فعليّة. لذلک نرى أنّ عدد الأفعال كثيراً بالنسبة للصفات. وإنّ كثرة عدد الأفعال تقرب النص إلى الأسلوب الأدبى. (مصلوح، ١٩٩٢م: ٨٠)

شخصيات المقامة

نرى أنّ المقامة ليســـت مجرد وصف مباشـــر على لســـان المؤلف نفسه فقط، بل لكل مقامة راوية وهو الذى يقص الحكاية وقد يقوم بمغامرات البطل ويرى القارئ شخصيته المعهودة فى المقامة، وأيضاً لكل مقامة بطل وهو أديب محتال شحاذ وهو رجل الفصاحة والبلاغة. (مرامى، ٢٠٠٦م: ٩٦) وإذا كان السرد من وجهة نظر شخصيّة (أى على لسان شخص ما) فإنّ ن ف ص تكون أعلى مما إذا كان السرد مجرد وصف مباشر. (مصلوح، ١٩٩٢م: ٨١)

الصناعات اللفظيّة

مع قـــراءة مقامات الهمـــذانى واليازجى نـــرى أنّ المقامة فى الحقيقـــة تنطوى على الصناعات اللفظيّة كالســـجع والجناس والطباق والإغراق فى المقابلة والموازنة وســـائر الفنـــون البلاغيّة. إنّ هذه الصنائـــع كثيرة فى المقامات. هذا من ميّزات المقامة فى الأدب ومن خصائص الأســـلوب الأدبى، الإعتماد على الصور البيانيّة والمحسنات البديعيّة فى عرض الفكرة. لذلک نرى أنّ المقامة أقرب إلى الأســـلوب الأدبى منها إلى الأســـلوب العلمى. (الشكعة، ١٩٨٣م: ٣٠٢)

النمط الحوارى

يستخدم الكاتبان النمط الحوارى فى مقاماتهما ويظهر ذلک فى أسلوب المحاورة بين الكاتـــب والراوى والبطل (الفاخـــورى، لاتا: ٧٣١) وإنّ قيمة ن ف ص فى الحوار أكثر منها فى الفقرات السرديّة والمونولوج. (مصلوح، ١٩٩٢م: ٨١)

النمط السردى

نرى فى المقامات، النمط السـردى، وهو نمط يناسـب فن المقامة، ويتجلى ذلک فى أسـلوب الحكاية فى سـرد الأحداث وأيضاً يتجلى فى إسـتخدام صيغ الفعل وتوظيف أدوات الربط بدقة لتسلسل الأحداث. وهذا من ميزات العمل الأدبى ويقرب النص إلى الأسلوب الأدبى منه إلى الأسلوب العلمى.

النمط الوصفى

يتجلى النمط الوصفى فى إستخدام التشبيه بكثرة. وهذا من ميزات الأسلوب الأدبى.

لغة المقامات

إنّ المقامـة شـبيه بالكلام المنطوق. منهـا إلى الكلام المكتوب. وهـذا الكلام يمتاز بارتفاع ن ف ص فى مقابل انخفاضها فى الكلام المكتوب. (مصلوح، ١٩٩٢م: ٨٠)

نثر المقامات

إنّ المقامة هى من النثر الأدبى وفيه شـيئ من الفن. (حسـين، لاتا: ٢٩) وكما قال بوزيمـان يمتاز النثـر الأدبى بارتفـاع ن ف ص فى مقابل انخفاضهـا فى النثر الصحفى والعلمى. (مصلوح، ١٩٩٢م: ٨٠)

ب) مؤثرات ترجع إلى المضمون (content)

العمر

يرتبـط منحـنى ن ف ص بمراحل العمر، فيميل إلى تسـجيل قيـم عالية فى الطفولة والشـباب، ثم يتجه إلى الانخفاض فى الكهولة. (مصلوح، ١٩٩٢: ٨٠) مع دراسـة مؤثر العمـر عند اليازجى والهمذانى، نـرى الهمذانى ولم يكن بلغ الأربعـين من عمره فودع الحياة وهو كتب المقامة فى المراحل المتقدمة من عمره، لذلک نرى ن ف ص فى مقاماته تميل إلى تسجيل قيم عالية. عاش اليازجى سبعين سنة، وهو كتب مقاماته طوال حياته، نراه فى بعض مقاماته التى كتبها فى أوائل حياته تميل ن ف ص إلى تسـجيل قيم عالية ثمّ تتجه إلى الانخفاض فى بعض مقاماته التى كتبها فى المراحل المتأخرة من عمره. وهذا

دليل على أنّ ن ف ص فى مقامات الهمذانى أكثر أدبياً بالنسبة لمقامات اليازجى.

الجنس

تستخدم معادلة بوزيمان للتفريق بين أسلوب الرجل وأسلوب المرأة، وترتفع قيمة ن ف ص عند المرأة، لأنّ خطاب المرأة ولغتها بشكل عام يميل إلى العاطفة والانفعال، مقابل الرجل الذى تميل قيمة ن ف ص عنده إلى الإنخفاض لأنّه أكثر بعداً من المرأة عن العاطفة والانفعال. (العرجا، ٢٠٠٨م: ١٢) هذه الميزة لا تؤثر فى إرتفاع ن ف ص عند الكاتبين، لأنّ أسلوب كلا الكاتبين أسلوب الرجل.

النتيجة

من نتائج حساب النسبة الكلية، أى ن ف ص فى مقامات الهمذانى واليازجى، نصل إلى نتائج مهمة نذكرها فيما يلى:

إنّ أسلوب المقامات هو أسلوب أدبى، والسبب الرئيسى الذى أدى إلى ارتفاع قيمة ن ف ص فى مقامات الهمذانى واليازجى هو:

الف) مؤثرات ترجع إلى الصياغة (form)

منها: ازدواجية الشعر والنثر، الإطار القصصى، الغموض، شخصيات المقامة، الصناعات اللفظيّة، النمط الحوارى، النمط السردى، النمط الوصفى، لغة المقامات، نثر المقامات.

ب) مؤثرات ترجع إلى المضمون (content)

١. العمر: وينطبق على مقامات الهمذانى واليازجى.

٢. الجنس: مؤثّر الجنس لا يرتبط على مقامات الكاتبين.

إنّ مقامات الهمذانى أكثر أدبياً بالنسبة لمقامات اليازجى والسبب يعود إلى:

الف) يرتبط منحنى ن ف ص بمراحل العمر فيميل إلى تسجيل قيم عالية فى الطفولة والشباب، ثمّ يتجه إلى الانخفاض فى الكهولة. عاش الهمذانى أربعين سنة وهو كتب

مقاماتــه فى المراحــل المتقدمة من عمره، بالنســبة لليازجى الذى كتــب بعض مقاماته فى أواخر عمره لأنه عاش ســبعين ســنة. لذلک نــرى ن ف ص عند الهمذانى تميل نحو الإرتفاع بالنسبة لليازجى الذى تميل ن ف ص فى بعض مقاماته نحو الانخفاض.

ب) الغموض فى تأليف عبارات الهمذانى وخفاء كثير من اشــاراته والإســتفادة من الأفعال لتوضيح الإشــارات، مقابل السهولة والبساطة فى بعض مقامات اليازجى، أدى إلى إرتفاع قيمة ن ف ص فى مقامات الهمذانى بالنسبة لليازجى.

٣. إنّ أســلوب اليازجى فى مقاماته على أســاس معادلة بوزيمان هو أسلوب أدبى، ويتفق أسلوب الهمذانى فى مقاماته.

٤. قلنــا فى المقدمة إنّ أســلوب المقامات هو أســلوب أدبى، ومع دراســة مقامات الهمذانى واليازجى على أساس معادلة بوزيمان، وصلنا إلى هذه الفرضية.

٥. إنّ معادلة بوزيمان قادرة على أن تعطينا المنهج العلمى الصحيح لدراسة الأسلوب فى المقامات.

المصادر والمراجع

أ. المصادر العربيّة

ابن منظور. (١٩٨٩م). لسان العرب. ط٢. بيروت: دار صادر.

حسين، طه. (لاتا). من حديث الشعر والنثر. ط١٠. القاهرة: دار المعاصرة.

زيــدان، جرجى. (لاتا). تاريخ آداب اللغة العربيّة. المجلّد الثانى. بيروت: منشــورات دار مكتبة الحياة.

الشايب، أحمد. (١٩٧٦م). الأسلوب. ط٧. مصر: مكتبة النهضة المصرية.

الشكعة، مصطفى. (١٩٨٣م). بديع الزمان الهمذانى. ط١. بيروت: دار صادر.

شكيب أنصارى، محمود. (١٣٨٦ق). تطوّر الأدب العربى المعاصر (تاريخ ونصوص). ط٤. أهواز: منشورات جامعة الشهيد چمران.

عبابنــة، ســامى محمــد. (٢٠٠٧م). التفكــير الأســلوبى. ط١. بــيروت: عالم الكتــب الحديث.

عبّود، مارون. (١٨٩٩م). روّاد النهضة الحديثة (المجموعة الكاملة). المجلد الثانى. بيروت: دار مارون عبود.

فضل، صلاح. (١٩٩٢م). علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته. القاهرة: مؤسسة مختار.

المبارک، مازن. (١٩٨١م.) مجتمع الهمذانى من خلال مقاماته. ط٢. دمشق: دار الفكر.

مصلوح، سعد. (١٩٩٢م). الأسلوب دراسة لغويّة إحصائيّة. ط٢. القاهرة: عالم الكتب.
المعوش، سالم. (١٩٩٩م). الأدب العربى الحديث (نماذج ونصوص). ط١. بيروت: دار المواسم.

ب) المصادر الأجنبيّة

the Verb-Adjective Ratio:. . . Friederike Antosch.(١٩٦٩). The Diagnosis Of Literary Style With

. G.A. Miller. (١٩٦٣). Language and Communication. New York. Torento. London.

ج) المقالات

صدقى، حامد، وعظيمى، كاظم. (١٣٨٧ش). «قياس خاصية تنوع المفردات فى الأسلوب (دراسة تطبيقيّة لنماذج من أشعار دعبل الخزاعى، الشريف الرضى، ومهيار الديلمى)». مجلة الجمعية الإيرانيّة للغة العربيّة وآدابها. تهران. العدد ١٠. صص ١٧-١.

العبد، محمد. (١٩٨٦م). «سمات أسلوبيّة فى شعر صلاح عبد الصبور». نشرية اللغة والأدب. فصول. العدد ٢٥و٢٦.

العرجا، جهاد يوسف. (٢٠٠٨م). «الأسلوب بين الرجل والمرأة دراسة لغوية إحصائية». نشرية اللغة والأدب. فصول. العدد ٢٣. صص ٢٤-١.

مرتضوى، أمير وصدقى، حامد. (١٣٩١ش). «قياس خاصية تنوع المفردات فى الأسلوب (جبران خليل جبران، المنفلوطى، والريحانى)». مجلة دراسات فى اللغة العربيّة وآدابها. سمنان ـ تشرين. العدد ١٢. صص ١٣٤-١١١.